

السيمائية التنظير والتطبيق

م.م. إياد عبدالله علي

ayadabdullah@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية

الملخص:

تعد السيميائية منهجاً نقدياً شاملاً ، فإذا كانت اللسانيات تعنى بدراسة اللغة في النص فإن السيميائية تتعدى ذلك لتتسع بامتداداتها التحليلية للنصوص إلى كل ماهو لغوي وغير لغوي، فهي تدرس اللغة والإشارة وكل مايتعلق بالإشارة ، من فلسفة الرموز ، وعلم العلامات والأشكال في صيغتها التصويرية العامة. ويتناول البحث المنهج السيميائي من حيث التنظير والتطبيق ، بوصفه معلماً بارزاً من معالم التجديد النقدي في تحليل النص الأدبي بما يتضمنه من رموز تستقر ذائقة القارئ وشغفه المعرفي بغية محاولة فهم العلاقة الجدلية ما بين الدال والمدلول. الكلمات المفتاحية : (السيميائية – المنطق الاغريقي – ارسطو – السيميولوجيا)

Semiotics theory and application

Ayad Abdullah Ali

Al-Mustansiriya University , College of Arts - Department of Arabic Language

Abstract

Semiotics is considered a comprehensive critical approach. If linguistics is concerned with studying language in text, then semiotics goes beyond that to expand its analytical extensions of texts to everything linguistic and non-linguistic. It studies language, sign, and everything related to sign, from the philosophy of symbols, and the science of signs and shapes in their general pictorial form.

The research deals with the semiotic approach in terms of theory and application, as a prominent landmark of critical renewal in the analysis of literary text, with the symbols it contains that provoke the reader's taste and cognitive passion in order to try to understand the dialectical relationship between the signifier and the signified.

السيمياء علم قديم في تجاربه إلا أنه حديث في اصطلاحاته وتنوع مجالاته، إذ أكد أفلاطون أن للأشياء جوهرًا ثابتًا، وأن الكلمة أداة للتوصيل وبذلك يكون بين الكلمة ومعناها، أي بين الدال والمدلول تلاؤم طبيعي.

ومن المعروف أن المنطق الإغريقي قد اهتم بالعلامة اهتمامه باللغة لأن العلامة في التفكير الإغريقي كانت تدل على عرض من الأعراض المرضية (Symptome). وعرفت بـ (Semeion) فاستعمل المصطلح للدلالة على علم الطب وموضوعه دراسة العلامات الدالة على المرض (Lepetit Robert, 1976, p. 1633).

إلا أن أفلاطون اصطنع المصطلح (Semeion) ليرادف لديه العلامة اللسانية (احمد يوسف، 2005، صفحة 30).

واهتم أرسطو أيضاً بنظرية المعنى وأوضح قدرة الـ (Semion) على الانخراط في العملية الاستدلالية.

وحاول الرواقيون إثبات أن العلامة هي دال ومدلول ولم يقتصر في ذلك على العلامات اللغوية فحسب، وإنما أنواع العلامات كلها (فيصل الاحمد، 2007، صفحة 48).

وميز الرواقيون ما بين ثلاثة عناصر في وجود كل علامة بحيث إن كل علامة تجمع بين ثلاثة مكونات : مضمون العلامة، والعلامة وما هو موجود فعلياً، وميزوا ما بين العناصر النفسية وغير النفسية، فالصوت والشيء محسوسان أما مضمون العلامة - وهو ما يتطابق مع المدلول السوسيري - فنفسياً لأنه صورة مجردة عن الشيء.

تبلور علم السيميائية على يد علماء الأصول والتفسير والمنطق واللغة والبلاغة وكان الباعث والموجه للدرس السيميائي هو القرآن الكريم الذي أرشد في مواضع عدة منه الى التأمل في العلامة بغية اكتشاف بنيتها الدلالية وتدبرها، ومن ذلك قوله تعالى : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (الرعد : 4).

وقوله تعالى : ((وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)) (النحل : 16).

وقوله تعالى : ((فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ)) (سبأ : 14).

فالآية، والعلامة، والدليل ألفاظ ذكرت في القرآن الكريم للاستيضاح عن المعنى الغائب بالتوسل بالحواس للوصول إليه.

والسيميائية وإن وردت بمعناها في القرآن الكريم كذلك وردت لفظاً لما في قوله تعالى :

((سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)) (الفتح: 29) و((مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ)) (الذاريات: 34) وغيرها من الآيات في

ثمانية مواضع قرآنية أخرى.

وقد أشار الجاحظ (ت255هـ) إلى الدلالات اللغوية وغير اللغوية في مسألة المعاني والألفاظ فصنفها إلى خمسة أنواع. وتبعه الفارابي وابن سينا والغزالي وحازم القرطاجني. إلا أن كل آرائهم السيميولوجية لم تشكل نسيجاً نظرياً مستقلاً لتأسيس نظرية متماسكة لعلم مستقل حتى محيي سوسير وبيرس.

يشير سوسير إلى المشروع السيميولوجي المعاصر في فرنسا في كتابه ((محاضرات في اللسانيات العامة)) الذي يهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية، فكان موضوعه الرئيس مجموعة الأنساق القائمة على اعتبارية الدلالة.

وتوقع سوسير بأن تكون السيميولوجيا جزءاً من علم النفس الاجتماعي في المستقبل لأنها تدرس العلامات في الحياة ضمن المجتمع وهذا ما تحقق على يد أمبيرتو رايكو في منهجه الحدسي من خلال فتح الدلالة على الخارج الثقافي والتأكيد على الذات الواعية. إذ يقول سوسير : ((نستطيع - إذاً - أن نتصور علماً يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي وهذا العلم يشكل جزءاً من علم النفس العام. ونطلق عليه مصطلح علم الدلالة Semiotic من الكلمة الإغريقية دلالة Semion وهو علم موضوعه الجهة التي تختص بها أنواع الدلالات والمعاني. نصرح بأن له الحق في الوجود، وقد تحدد موضوعه بصفة قبلية. وليس علم اللسان إلا جزءاً من هذا العلم العام (محاضرات في علم اللسان العام، 1987، صفحة 88). فالدرس السيميائي بوصفه نشاطاً فكرياً خاصاً يستمد وجوده من طروحات دي سوسير بفضائها الألسني، وتعدّ محاضراته في اللسانيات العامة، الأصل اللساني لهذا المنهج، في وقت أضحيت فيه اللسانيات تطالب بوضع قانوني يسمح لها باستقلال شخصيتها بين العلوم الأخرى، وتطويع المصطلح اللساني للتطبيق النقدي والأدبي. (جبار سويس، 2018، صفحة 4)

وقد تزامنت جهود سوسير مع جهود الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس الذي ارتبط عنده العلم والمنطق ونحا به منحى فلسفياً منطقياً، وأطلق عليه إسم (سيميوطيقاً) (Semiotique) التي تعني عنده نظرية عامة للعلامات وتمفصلاتها في الفكر الإنساني، كما أنها صفة لنظرية عامة للعلامات والانساق الدلالية في أشكالها كافة. وهو بهذا يعتقد أن النشاط الإنساني نشاط سيميائي في مختلف مظاهره وتجلياته وذلك بقوله : ((لم يكن باستطاعتي يوماً ما دراسة أي شيء - رياضيات كان أم أخلاقاً أو ميتافيزيقاً أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحاً مقارناً، أو فلماً، أو علم نفس، أو علم صوت، أو اقتصاد، أو تاريخ علوم أو يستار ضرب من لعب الورق أو رجالاً ونساء، أو خمرأ، أو علم مقاييس دون أن تكون هذه الدراسة سيميائية)) (Oswald Ducrol , 1972, p. 11).

وبينما شدد (سوسير) على الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها العلامة أكد (بيرس) على الدور المنطقي لها.

فالسيميولوجيا والسيميوطيقاً متقاربتان في المعنى ولا فرق علمي منطقي بينهما سوى أن الأولى مفضلة عند الأوربيين تقديراً لصياغة سوسير، والثانية يميل إليها الناطقون بالإنكليزية تقديراً للعالم الأمريكي بيرس. - 14 - الذي يقول : ((ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسماً آخر للسيميوطيقا والسيميوطيقا نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات)) (رشيد مالك، 2000، صفحة 45).

إن التشابه والتباين بين طروحات سوسير وبيرس أفاد المنهج كثيراً من حيث أنه أدى الى ظهور مشتغلين كثر في الدرس السيميولوجي، استطاعوا الولوج فيه وتحديد مسارات كثيرة فيه، تنطلق من زاوية نظر المشتغل واجتهاده، فكان للفلسفة والعلوم الحديثة أثراً كبيراً في توجيه ذلك الدرس، إذ كان للظاهراتية لتأويلية والنبوية أثر في تباين وجهات نظر المشتغلين أمثال رولان بارت، وغريماس، ورومان جاكسون، وأمبيرتو إيكو، ومايكل ريفاتير، وجوليا كرستيفا.

اقتدت السيميائية في بناء صرحها النظري بالمبحث اللساني البنويية، واستقت منه تقنيات وآليات ومفاهيم تحليلية تعد بمثابة مرتكزات أساسية يقوم عليها المبحث السيميائي الحديث.

إن الهدف الرئيس للسيميائية هو الكشف عن القيم الدلالية، لأنّ السيمياء جاءت لتقريب العلوم الانسانية من حقل العلوم التجريبية وإعادة المعنى غير المرئي للصورة، والانسان والتاريخ، فهي تحوّل العلوم الانسانية من مواد خاضعة للانطباع والتأمل إلى مواد قابلة للتحليل وفق المنهجية العلمية. (ورقاء حراية وعبدالجار عدنان، 2022، صفحة 4)

إذ تسعى السيميائية إلى تحويل العلوم الإنسانية (لاسيما اللغة والأدب والفن) من مجرد تأملات وانطباعات إلى علوم بالمعنى الدقيق للكلمة. ويتم لها ذلك عند التوصل الى مستوى من التجرد يسهل معه تصنيف مادة الظاهر، ووصفها، من خلال أنساق من العلاقات تكشف عن الأبنية العميقة التي تتطوي عليها. لذلك تجاور المنهج السيميائي حدود البنية، والعناية بدراسة أنظمة التواصل بواسطة العلامات والإشارات الخارجية التي تميزه فضلاً عن الدلالات أينما وجدت، وتجاوز إنغلاق البنيوية من خلال طرحها لمفهوم الاعتباطية، ونعني بها اعتباطية اللغة التي تشكل صفة جوهرية للعلامة اللغوية التي تمنح الدوال والمدلولات معان لا نهائية، لأن المبدع في نظر السيميائيين يحصد الكلمة من مخزون اللغة، فيدخلها في سياق جديد، وهو الدخول الذي يجعلها تحمل أكثر من دلالة (فريماندري سوسير، 1986، صفحة 87).

وإطلاق قيد العلامة وجعلها بديلاً للبنية. فالسيميائية فكّت الحصار الذي ضربته البنيوية على النص الأدبي، ومن هذه النقطة بالذات ينفصل المنهج السيميائي عن المناهج المؤسسة له، والمناهج التي صاحبه. إلا أنّ البنيوية لقيت ضمن أسس السيميائية في جانبها التأويلي الاختلاف والفرق بين البنيوية والسيميائية.

ينظر البنيويون للنص على أنه بنية تتسج نفسها من خلال عملية التشابك المستمر (رولان بادت، 1990، الصفحات 62-63). بينما رأى السيميائيون أنّ النص تأليف مفتوح، وإنتاج يتخطى حدود الآن، يتميز بقدرته على استيعاب مضامين الحياة، فلا يقبل الانكفاء على حياته. فالنص لديهم مجال للفعل الإنساني يتمتع بحركة دؤوبة وفاعلية مستمرة ومتشظية، وذلك بفعل تشكيل مكوناته الدلالية المنتجة والممتدة في ذات المتلقي، فالنص عدسة مقعرة لمعان ودلالات متغايرة ومتباينة ومعقدة في إطار أنظمة اجتماعية ودينية وسياسية مساعدة (فؤاد منشور، صفحة 122).

فيدخل النص في تفاعل مع المتلقين المختلفي الأهواء والمناخ والمشارب بحيث لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية بل يكون هو فضاء دلالي وإمكان تأويلي، لذا فهو لا ينفصل عن قارئه، ولا يتحقق دون مساهمة القارئ، فكل قراءة تحقق إمكاناً دلاليّاً لم يتحقق من قبل وكل قراءة هي اكتشاف جديد (علي حرب، 1995، صفحة 9).

فالنصوص الإبداعية عبارة عن نتاج متماز من تجارب عدّة داخلية ذاتية، منفتح على أخرى خارجية شكلت معاً بناءه الفني، ليعبر في نهاية المطاف عن تجربة المبدع الخاصة المنبثقة عن نشاطه الفردي ونشاطات أخرى سبقته، وهنا يكون الدور الأكبر في فهم مقصديات النص وتحليلها إلى تفسير علاماته السيمولوجية الكامنة بين أبنيته وتراكيبه. (سهام حسن حضر، 2023، صفحة 3) فالسيميائية تعمل كاستراتيجية للنفذ الى عمق النص وذلك باتخاذ السمات الشكلية مؤشرات للتأويل، فالعنوان مثلاً هو تجميع مكثف لدلالات النص وهو المحول الذي يكون المنطلق الذي يتنازل النص عبر تشاكلات وتقابلات عدة ليمر على الجملة الرابطة، وتتلاقى هذه الآليات جميعها في الجملة الهدف التي تتموّع في نقطة ما من النص (محمد فتاح، 1990، صفحة 103).

مبادئ السيميائية

تبحث السيميائية عن المعنى من خلال بنية الاختلاف فلغة الشكل والبنى الدالة . ويبنى التحليل فيها على أساس خطوتين إجرائيتين هما : التفكيك والتركيب قصد إعادة بناء النص من جديد وتحديد ثوابته البنيوية.

وترتكز السيموطيقا على ثلاثة مبادئ أساسية ، وهي:

أ. التحليل المحايت : الذي يبحث عما يكون الدلالة من شروط داخلية وإبعاد كل ما يعد خارجياً . أي البحث عن العلاقات الرابطة بين العناصر التي تنتج المعنى .
 ب. التحليل البنيوي لإدراك المعنى : إذ لا بد من وجود نظام من العلاقات يربط بين عناصر النص ،ولذا فإن الاهتمام ينبغي أن يوجه إلى ما كان داخلاً في نظام الاختلاف الذي يسمى شكل المضمون وهو التحليل البنيوي .
 ت. تحليل الخطاب : يعد الخطاب في مقدمة اهتمامات التحليل السيميائي الذي يهتم بالقدرة الخطابية ،وهي القدرة على بناء نظام لانتاج الاقوال .

الاتجاهات السيميائية المعاصرة :

تتعدد الاتجاهات السيميائية المعاصرة بتعدد وجهات نظر منظريها فتتقأ أحيانا وتتعارض أحيانا أخرى تبعاً لحدثة تشكّل النظرية، وتعدد تأويلات وظيفة أساسها هي (العلامة) .

وأهم اتجاهات السيميائية هي :

أولاً: سيمياء التواصل : يذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أنّ العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى : الدال ، والمدلول ، والقصد ، وهم يركزون في أبحاثهم على الوظيفة التواصلية ، أو الإتصالية المشروط بالقصدية الواعية سواء أكانت لسانية أم غير لسانية .
 ومن أبرز أنصار هذا الاتجاه (بويسنس ، برييتو ، مونان ، كرايس ، اوستين ، فتجشتاين ، مارتينية) .

ولسيمياء التواصل محوران هما :

1- محور التواصل : ويقسم على:

أ - التواصل اللساني : وهو عملية التواصل بين البشر بوساطة الفعل الكلامي

ب - التواصل غير اللساني : ويصنف إلى ثلاثة معايير هي :

1- معايير الاشارية النسقية : تكون العلامة ثابتة ودائمة كعلامات السير .

2- معايير الاشارية اللانسقية : تكون العلامات غير ثابتة وغير دائمة كالمصقات الدعائية المختلفة الشكل واللون قصد اثاره انتباه المستهلك .

3- معايير الاشارية التي لمعنى مؤشرها علاقة جوهريّة بشكلها كالشعارات الصغيرة التي ترسم عليها قبعة أو مظلة مثلاً ، ثم تعلن على واجهات المتاجر دليلاً على ما يوجد فيها من البضائع .

2- محور العلامة : وتصنف على أربعة أصناف ، هي :

أ - الإشارة : وتمثل الكهانة وهي ماتتذر بالظواهر الغيبية ، وأعراض المرض ، والبصمات والآثار والرسوم التي تدل على حضور

ب - المؤشر : وهي الإشارة الإصطناعية التي تفصح عن عمل معين .

ج - الأيقون : هي المماثلات الجزئية الحاصلة بين ما يعرفه المتلقي وبين ما يعرض امامه بحيث تجعله يقبل إمكان مشابهة ما يعرفه بما يجله فينكشف له" (السرغيني، 1988)

د - الرمز : وهو العلامة التي تتيح قصد النيابة عن علامة أخرى مرادفة لها " (بارت رولان، 2015، صفحة 90)

إذ يدل الرمز على شي ليس له وجه أيقوني كالخوف ، والفرح ، الحزن ، الإخلاص ، الخ

فيقال مثلاً : الحمامة رمز السلام ، والسلحفاة رمز البطء ... الخ

ثانياً - سيميائية الدلالة :

يؤيد أصحاب هذا الاتجاه ما ذهب إليه سوسير بأن العلامة باختصار هي وحدة ثنائية المبنى (الدال ، المدلول)

إلا أنه يقف على النقيض من سوسير بقوله بعمومية علم العلامة ، وخصوصية علم اللغة ، فجعل علم العلامة فرعاً من اللسانيات "

(السرغيني، 1988، صفحة 43)

ومن أبرز أنصار هذا الاتجاه رولان بارت .

عناصر سيميائية الدلالة .

تتوزع عناصر هذا الاتجاه على ثنائيات أربع كلها مستقاة من الألسنية البنيوية ذلك لأن السيميائية تنكئ على مبادئ البنيوية وهذه العناصر هي : اللغة والكلام ، الدال والمدلول ، المركب والنظام ، التقرير والإيحاء (الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية) (ابراهيم عبدالله وآخرون، 1996، صفحة 99)

ثالثاً : سيميائية الثقافة :

يرى اصحاب هذا الاتجاه إنَّ العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى : الدال والمدلول ، والمرجع ، وقدموا مفهوم (النمذجة) إذ توصف الأنظمة السيميائية بانها انظمة مُنمذجة للعالم ، لذلك لا بد من تصنيف انظمة العلامات في شكل تدرج هرمي ، بحيث تحقق وظيفة التوصيل . فالنص الثقافي لديهم لا ينبغي أن يكون بالضرورة رسالة تثبت باللغة المنطوقة ، ولكن يجب ان يكون رسالة تحمل معنى متكاملًا وقد تكون هذه الرسالة رسماً ، أو عملاً فنياً ، أو مؤلفاً موسيقياً ، أو بناية " (قاسم سيزر، 1986، صفحة 43) ومن التطبيقات العملية للمنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي هو تحليل الدكتور عبد الملك مرتاض لقصيدة شناسيل إبنة الجلي ، إذ حللها على مستويات ثلاثة ، هي :

المستوى الأول: ويرتكز على التماس وجوه التشاكل والتباين في لغة الشعر العربي المعاصر من خلال أحد أكبر ممثلي هذا الشعر المستوى الثاني : ويقوم على تقويم اللغة الشعرية . المستوى الثالث : تحليل وفق الرؤية الفنية والتقنية.

تكونت القصيدة من إحدى عشرة لوحة شعرية سأتناول الأولى منها أنموذجاً للتحليل السيميائي للوحة الشعرية الأولى (بدر شاكر السياب، 1971).

وأذكر من شتاء القرية النضاح فيه النور من خلل السحاب كأنه النغم.

تسرّب من نقوب المعزف - ارتعشت له الظلم وقد غنى صباحاً قبل ... فيم أعدّ ؟ طفلاً كنت أبتسم .

قبل الولوج في تحليل هذه اللوحة وفق مستوى التشاكل والتباين لا بد من أن نوضح بإيجاز معنى التشاكل والتباين ، وهما عنصران لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، وإنه هو الذي يحصل به الفهم الموحد ، للنص المقروء ، وهو الضامن من الانسجام أجزاءه وارتباط أقواله ، وإنه يتولد عنه تراكم تعبيرية ومضموني تحثه طبيعة اللغة والكلام ، فيبعد الغموض والابهام اللذين يكونان في بعض النصوص التي تحتمل قرارات متعددة (د محمد مفتاح، 1985، صفحة 21) وهو ما تنبه إليه كريماس بتعريفه له بأنه : " مجموعة مترابطة من المقولات المعنوية (أي المقولات) التي نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حل إبهامها ، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة (المصدر السابق، صفحة 20).

تبدأ هذه اللوحة بضمير متكلم مفرد مستتر في العقل (أذكر - أنا) والدلالة السيميائية لأنها تنطلق في فضاء الذاكرة لبعض أزمنة الشتاء في قرية الناص ، إنما هو مظهر من مظاهر التأثير الزمني ، واستيقاظ الذاكرة وتحرك شريطها فسلطان الزمن هو الذي أيقظ الذاكرة لاستعادة شريط عهد الصبا بعد ثلاثين عاماً .

هذا الابتداء قد حدّ من غلواء التباين مابين (النور - الظلم) ، وكذلك يتمثل التشاكل والتباين التركيبي في الأفعال.

تسربت - ارتعشت - عنى : مقابل : أعد - أبتسم ، وهذه دلالات على تغلب الغياب على الحضور لانغمار الحاضر الشاحب في ذلك الماضي المتوهج في لحظة الذكرى بالذات.

هذه كلها تشاكلات تركيبية أما من حيث التشاكلات المعنوية للوحدة ففي لفظة (أذكر) تشاكلاً وتبايناً معاً كيف ؟ إنهما يتجليان في كون الانتشار (من الحاضر نحو الماضي) أي انتشار الوعي عبر شريط الذاكرة الخلفية لاستعادة شيء كان منسياً ، أو شاحباً ، فالذكرى فيها معنى الانتشار القائم في رجوع الزمن بسرعة مذهلة نحو الوراء والتوقف لدى نقطة معينة.

وفي قوله " شتاء القرية النضاح "

عاد معنى النضاح في دلالاته إلى الشتاء هذا من زاوية الانتشارية ، ذلك أنه يفضي إلى دلالة وجود شيء يسيل ويسري ويناقض ، ولا يقال ذلك إلا نحو ذلك في وقت شتاء الذي هو ريح ، وورعد ، وسحب وفي هذه المعاني مافيه من دلالات الانتشار.

أما النور :

ففيه أيضاً دلالة انتشارية من حيث أنه ينتشر في أثناء الظلام الى أقصى الحدود الممكنة ،وكذلك فيه دلالة انحسارية من حيث أنه ينتشر على مدى قدرة امتداد البصر إلى نقطة معينة لايعدها لاسيما في أثناء الليل ، فالانتشارية هنا تؤكد تشاكل الكلام بينما تؤكد الانحسارية تباينه وهاتان الحالتان تفضيان إلى حمولة دلالية تنسم بالكثافة.

ولعل مايبثري الانتشار الوارد في دلالة " النضاح" ، القوب والتقارح التي ترمز إليها لفظة (خلل) والتي تتسلط على السحاب فتعمل فيها فراغات تعدّ في حد ذاتها انتشارات فضائية أخرى لاسيما وأن السحاب هو نفسه منتشر .

وتطمئن النفس سكوناً وسلاماً من تركيبة منسجمة من الأصوات الموسيقية المنتشرة من قوله " كأنه النغم" فالانتشارية الصوتية هنا قائمة متجسدة ، تحدها شيء من الانحسارية اذا افترضنا أن النغم أتيح له أن ينتشر في براح من الأرض لا أنيس به ، أو قفر من البيداء ليس به ديار . وبهذا يكون التباين وارداً.

تسرب من قوب المحذف - ارتعشت له الظلم

أفينا الانتشارية تنبجس من التسرب ،ومن القوب التي ينتشر منها النور أو الصوت أو الهواء ثم من المعزف الذي هو آلة مصوتة ينتشر منها النغم فالتشاكل إذا يتجسد في المقومات الثلاثة جميعاً.

ارتعشت له الظلم

الارتعاش يلازمه الاهتزاز الذي يتضمن ذبذبة صوتية وذبذبة بصرية مما يفضي إلى انتشارية بفعل الحركة البصرية ،وأيضاً تنازعها الانحسارية الناتجة عن الخدمة السكونية التي تقع وسطابين الحركة والأخرى في ارتعاشة الظلام ،وهنا يتمثل التباين القائم على الانحصار والانتشار في الوقت نفسه.

وقد غنى ، صباحاً قبل فيم أعداً ؟ طفلاً كنت أبتسم

تتمثل في الغناء سيميائياً مركبة تتألف من الحركة الصوتية النافذة ، أي الشديدة الانتشار ،وهو تركيبة منسجمة من أصوات ندية جميلة مختلفة متشاكلة ومتباينة.

وهناك تشاكل متراكب يتجسد في أنّ الصباح وما في مدلوله من زمان ، استكمل زمن الغناء ، وهو إنّ زمن الغناء جميل ، كما أن زمن الصباح جميل ثم في إنّ الغناء انتشار جميل للصوت، والصباح انتشار جميل للنور ونلاحظ أن تحليل مرتاض هنا ارتكز على التماس أوجه التشاكل والتباين في لغة الشعر العربي المعاصر من خلال أحد أكبر ممثلي هذا الشعر ، متناولاً في ذلك المستوى الصوتي والمعجمي والتركيبي والدلالي .

أما في المستوى الثاني (الحيز والتحيز في لغة الشعر) فقد استعمل مرتاض مصطلح (الحيز) الذي يُعرف بـ (الفضاء) في النقد الأدبي المعاصر كإجراء سيميائي سببه رغبة مرتاض في منح المكان دلالة سيميائية تتجاوز المكانية فقط بتوسعه مفهومه إلى حيز من الخطوط، والأبعاد والأحجام، والأوزان، وكل مايتخذ شكلاً ما في حيز ما ، كالمطر والسحاب ،والماء ،... الخ وهذا بدوره ولّد مصطلحاً مسوغاً من الحيز نفسه وهو " التحيز" وهو ما يطلق عليه بعض النقاد العرب المعاصرون " الاطار" وكذلك استعمل مصطلح (التحاييز) وعدّها مرتاض مرحلة مجسدة لمرحلة أوج التفاعل الحيزي.

والحيز في هذه اللوحة مائل بارز ، ويتجسد في أكثر من ترتيب كلامي اختار مرتاض منها تركيبيتين ، هما :

شتاء القرية الناضح:

وفيها ثلاثة مقومات : الاول يمثل الزمان ، والثاني المكان ،والثالث ، الحال . فالزمان هو فصل الشتاء يظرف الحدث ،والحدث يركض في الحيز والحيز يتأثر بما يحدث من حوله في الجو ، فهو إذا تسلسل حدثي يقابله سريان زمني يقابله مظهر فعال للحيز.

القرية

ولعل توسطها مابين الزمان والحال في ترميز إلى هدوء وكونه سر العلاقة وقد يوحي ارتباط القرية بفصل الشتاء بجمال هذا الحيز وتميزه لما لها من تفوق جمالي على المدينة ،وهذه واحدة من الخصائص الحيزية التي تجعله مميزاً عن المدينة.

النضاح الشاعر كان يريد أن يجعل من حيز هذه القرية حيزاً عائماً في الماء ، مثل زمنه - الشتاء من خلال السحاب .

إن السحاب بذكنته وسواده ،وكثافة طبقاته يمكن أن يكون معادلاً استعارياً لحياة الإنسان ،وهو في طفولته حيث لايعرف عن الغد المجهول شيئاً.

والسحاب في كل أحواله يكون له قابلية التمييز بسبب الحركة الدائبة لقوة الريح التي ترجيه حيث تشاء يكون حيزاً معلوماً، وفي حال إبطاره يكون حيزاً معلوماً، وكذلك في أجدابه وإمحاله يكون حيزاً معلوماً، وحين اتصاله ببعضه البعض، فيشكل طبقة واحدة كثيفة يكون حيزاً معلوماً، فالسحاب في أي صور يكون حيزاً معلوماً نشيطاً وشاسعاً ومثيراً لأنك إذا نظرت إليه من تحت أعطاك شكلاً معيناً، وإن نظرت عاليه من منظر شاهق (من الطائرة مثلاً) أعطاك شكلاً معيناً، يختلف تماماً عن الاول.

وقد غنى صباحاً

فالغناء لا يمكن أن ينفلت من سلطان الحيز فهو لا يستطيع أن ينفلت من قبضة حيز معلوم، هو هنا في هذه القرية الجميلة الحاملة. فالحيز الزماني هو الشتاء وفي المستوى الثالث تناول مرتاض التحليل بإجراءات المماثل والقرينة وهذه اللوحة - بحسب مرتاض- تتألف من لوحة مماثلية معنوية ويفصل في تحليلها بالآتي:

إن الذكرى مماثل لزمان ممتد من الحاضر إلى الماضي امتداداً وهمياً والذكرى ترد مماثلاً لشحنة زمنية تسري في الذاكرة، بسرعة مذهلة لتحيي فيها لحظة من الماضي ذكرته بفتاة من القرية كان يحبها، واستحضر هذه الذكريات عن طريق مقوم (وأذكر) هو صورة مماثلة إدراكية لشيء كان قد وقع بنفسه قديماً فهو يشبه دلالة الصدى على الصوت، والدم على الجرح.

إن وجود الطفل يدل على وجود صور أخرى مماثلة له في شخص أبيه فهي صورة حاضرة، لصورة غائبة. وذلك قياساً على القول الشهير حول التطبيقات على هذه الاجراءات السيمائية: " لادخان بلا نار" فالحضور والغياب القائمين على اشتراك التماثل بين السمة الحاضرة والسمة الغائبة قد يفضي الى تصور المماثل البصري.

وهو معلول لا ينشأ إلا عن علة غائبة أو حاضرة، وهي الاضطرابات الجوية، فهو سمة حاضرة، تمثل سمة غائبة مما يؤدي الى غياب عنصر الشبه وهو أمر ينزلق إلى سيرته الاولى، وهي العينة القائمة على التماس السببية بين السمة الحاضرة والسمة الغائبة.

ابتسم

يقدم لنا سياق النص سبب هذا التيسم حين يتحدث من أيام طفولة جميلة وذكريات عذبة كانت قد حدثت في أثناء هذا الصبا، فثارت في الذاكرة بعد أن خمدت ثلاثين عاماً.

طفلاً كنت أبتسم

الابتسام هنا قرينة السعادة، أوجدته، وتتخذ هذه القرينة مظهراً بصرياً حيث إن الابتسام لا يسمع سمعاً وإنما يرى رؤية فقط، فاصطناع العين هو من تمام شروط اكتمال صورة القرينة حول مقوم ابتسم.

ارتعشت له الظلم

إن النور الذي كان يتسرب من خلال السحاب، فيبدو شعاعاً تارة، ويختفي تارة أخرى كان ينشأ عن حركته القائمة على الظهور والتوارى، هذه الارتعاشات الظلامية المتأرجحة مابين النور والظلام، يمكن تأويلها بتأثير الرياح التي كانت تعصف بكل شيء.

إذ وصف مرتاض قول الشاعر وارتعشت له الظلم " من عرائس الشعر الذي لا يستقيم إلا لعباقر الشعراء، إذ بعث الحياة في صورة الظلمات الميتة القائمة إكسيراً من الحياة والحساسية، وجعلها تحس وتشعر بما يجري فتتأثر، فترتعش وتهتز اهتزازاً نسج يرقى الى ذرى النشج الشعري الكريم.

إذ حلل مرتاض اللوحة الشعرية (أذكر) في هذا المستوى من خلال المماثل والقرينة، فاستحضر الذكريات هو صورة متماثلة إدراكية لشيء كان قد وقع نفسه فهو يشابه دلالة الصدى على الصوت.

الخاتمة

تعددت الاتجاهات السيمائية تبعاً لتعدد المآرب النقدية لمنظريها، واختلاف وجهات النظر النقدية لديهم، إلا أنها رغم ذلك التباين لم تخرج عن نطاق محور اهتمامها في تحليل النص الأدبي ألا وهي (العلامة)، التي تمنح النص فضاءً تأويلياً مفتوحاً، فيطلق القارئ العنان لمخيلته لإنتاج العلاقة مابين الدال والمدلول، وهذه العلاقة تنشأ من إمكانيات تأويلية منبثقة عن تفاعل المتلقي مع النص ورؤيته التصويرية للدلالة الرمزية القائمة على القدرة التحليلية للعلامة.

قائمة المصادر

القران الكريم

Lepetit Robert. (1976). *Aregarder*. Paaris.

Oswald Ducrol . (1972). *tzvetan Toarov*.

ابراهيم عبدالله وآخرون. (1996). معرفة الآخر - مدخل المناهج النقدية الحديثة. المركز الثقافي العربي.

احمد يوسف. (2005). *الدلالات المفتوحة (مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة)*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

الذاريات: 34. (بلا تاريخ).

الرعد : 4. (بلا تاريخ).

الفتح: 29. (بلا تاريخ).

المصدر السابق. (بلا تاريخ).

النحل : 16. (بلا تاريخ).

بارت رولان. (2015). *مبادئ في علم الدلالة*. مكتبة اريق العلم.

بدر شاكر السياب. (1971). *الاعمال الكاملة*. بيروت: دار العودة.

حنين الذهبي جبار سويس. (2018). *الانساق الدلالية دراسة سيميائية في شعر حسب الشيخ جعفر (الفراشة والعاكز أنموذجاً)*. مجلة

آداب المستنصرية.

د محمد مفتاح. (1985). *تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

رشيد مالك. (2000). *قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص*. تلمسان- الجزائر: دار الحكمة.

رولان بادت. (1990). *لذة النص*. بيروت: مجلة العرب والفكر العالمي.

سبأ : 14. (بلا تاريخ).

سهام حسن حضر. (2023). *العتبات النصية في ديوان (تراتيل الرحيل)*. مجلة آداب المستنصرية - كلية الآداب - الجامعة

المستنصرية.

علي حرب. (1995). *نقد الحقيقة*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

فريناندي سوسير. (1986). *محاضرات في الالسنة العامة*. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.

فؤاد منشور. (بلا تاريخ). *حوار مع جوليا كريستينا1982*. بيروت: مجلة الفكر العربي.

فيصل الاحمد. (2007). *معجم السيميائيات*. لبنان- مكناس: الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف.

قاسم سيزر. (1986). *انظمة العلامات في اللغة والادب والثقافة*. القاهرة: دار الياسمين العصرية.

محاضرات في علم اللسان العام. (1987). الدار البيضاء: افريقيا الشرق.

محمد السرغيني. (1988). *محاضرات في السيمولوجيا*. الدار البيضاء: دار الثقافة.

محمد فتاح. (1990). *دينامية النص*. بيروت: المركز الثقافي.

ورقاء حراة وعبدالجبار عدنان. (2022). *تقويم سيميائية الصورة التعليمية في كتاب قرآني للصف الاول الابتدائي*. مجلة كلية التربية

- الجامعة المستنصرية.